اللـقـيّة

ساعة عمله، تبدأ مع استيقاظ الزرازير، وطائر القمرى بصوته المطبوع داخل النفوس. هاهو نور الصباح قد وسع الحقول، مهيئا المكان لشروق جديد للشمس، حتى الطريق الترابي الممتد قد ألفه واعتاد مروره عليه، حاملا فأسه رافعا رأسه فى جدْ. فإذا وصل الترعة من القرية عرّج أقصى اليمين ليصل حيث تستقبله مزروعات الحقل، فرحة مستبشرة.

يسيح بناظريه فى الأفق.. لا زالت ترن فى أذنيه مقولة أحد المسنين والذي انحنى ظهره من تجارب الأيام :

. « ياولدى الزرع عيعرف صاحبه اغدوا وروح على أرضك زرعك يفرح بيك»

لذا كثيرا ما جلس وسط أرضه يناجيها .. ناظرا حوله مخافة ان يظن به الظنون.

ربما أولاده لم يأخذوا من العناية ما أخذته الأرض فقد رواها بعرقه وجهده وسنين عمره حتى وجدته فى أواخر أيامه رجلا إبيض شعر رأسه ومع ذلك لايزال بخيره غاديا رائحا. إلى أن حدث شيء لم يكن فى الحسبان.

- « معاهم فلوس تغنيهم لولد الولد وزيادة «

هكذا ألقى مزين قريتنا عبارته تلك جازماً بها وبكل ثقة بعد أن حلق شعر رأس زبونه بآلته اليدوية فلم يبق بها شعرة . وقام بصب الإشاعة المتداولة فى القرية منذ ثلاثة أجيال فى أذنيه على عادة الحلاقين فى تسلية الزبائن بالأخبار والإشاعات دون فحص بل جلبا للمتعة أو عملا بقول « خلى لسانك حلو تكسب. « واستطرد : « جدهم الحاج محمود كان راجل طيب من الفجرية على غيطه الكائن تحت الدير القبلى وفى يوم من الأيام وهو عيحرت فى الأرض، بمحراثه البلدى ظهر له ثور مرصود مخفش منه، وقام ضربه بالرخو، تفتحت اللقية وسط أرضه بلاليس بلاليس مليانة بالدهب، الحاج محمود طلع ناصح كتم على الخبر وغطى البركة،وكل ما يعدى واحد من ناس البلد : « نساعدوا ياحاج محمود» يرد فورا :

- « لا خلصت مشكرين.»

ولما جن الليل حوّل اللقية على جمال.»

يبدوا أن الحلاق لمح نبرة شك فى زبونه فسارع الى تأكيد مقولته الأولى :

- «أى والله زى ما قلتلك معاهم فلوس تغنيهم لولد الولد.. والله .»

لم يكن حلاق القرية الوحيد الذى نقل الحادثة . آسف . الإشاعة إلى زبائنه.

بل تناقلتها نسوة القرية ولم تسلم من ألسنتهن بل زيد فيها وأضفْن إليها ما يجعلها أكثر إثارة واهتماما من آذان جارتهن أو أزواجهن وقلن :

بأن رصد اللقية التى وجدها الحاج محمود وسط أرضه ليست ثوراً بل جنيا ماردً ضخماً أراد أن يبتلع الشيخ المسن لكن عدم خوف الحاج محمود وضربه له بالرخو الذى يهش به على بقراته هو الذى قتل الجنى وأخرج الذهب.

وهكذا تناولت الألسن « لقية الحاج محمود» كل على هواه وتفسيره وعلى أية حال وجدت الإشاعة قبولا وموافقة من مشعوذي قريتنا وأكدو:

بأن حارس اللقية او الرصد ثوْر وليس جنيا ولهم فى ذلك تفسيرات عديدة يطول شرحها ..

أخيرا وصلت الإشاعة إلينا نحن المتعلمين بالقرية كنّا بالكاد بالصف الثالث الثانوى واشتبكنا فى الحوار والأخذ والرد بين منكرْ تماماً هذه الحادثة ...

ومؤيد لها :

ـ« لم لا ؟ الفراعنة كانوا علماء فى فن السحر وخبوا كنوزهم ورصدوها خوفا عليها من الضياع ليه تستبعدوا شىء من هذا يحدث.؟»

ـ « يا جماعة نحن أناس متعلمين ودارسين للمنطق هناك سؤال نريد له إجابة. لو أن الحاج محمود لم يعتن بأرضه، ولم يروها بعرقه وسنين عمره ولم يغد ولم يرح على زرعه، ترى هل من الممكن أن تفتح له لقية مرصودة من الذهب وسطها.؟